بعد، انها كانت المرة الاخيرة؛ اذ انها لم تظهر، لا في احتفالات اكتوبر، ولا في احتفالات الاول من أيار (مايو) بعد ذلك الحين. وربما كان هذا التطوّر، في الحقيقة، فرصة لجهد سوفياتي لتحسين وضعه، ولتكوين «جبهة صمود» مؤلفة، بشكل أولي، من سوريا والعراق، اضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية[٩٩].

الواضح، ان الجانبين، السوفياتي والفلسطيني، قد تحاشيا، بصورة متعمّدة، القضية الرئيسة المتمثّلة بغاية النضال الفلسطيني. وبالطبع، فقد بدت مشكلة ارسال أسلحة الى حركة المقاومة من أكثر المسائل سهولة. امّا العمليات الفدائية، فهي التي كانت تزعج موسكو أكثر من غيرها، خصوصاً انها رفضت اعتبار العمل الفدائي، بمجمله، سياسة مقبولة. وبين المواقف المبدئية، وبين ضرورات العمل الفدائي، اتخذت موسكو موقفاً ملتبساً، وتفادت، لفترة طويلة، اطلاق الاحكام عليه. لكن عندما تطوّرت علاقاتها بالفلسطينيين، بدأت تعلن، بصورة واضحة، معارضتها للعمل الفدائي. ومن الامور ذات الدلالة هو ان الادانة كانت رسمية. فقد طالب بافل ديمشنكو، في مقالة له في «برافدا»، في ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٧٢، الفلسطينيين بالتخلّي عن «الارهاب»، وتحديد مهام جديدة. وانتقد، في هذا الصدد، فقدان الوحدة داخل حركة المقاومة الفلسطينية، وعدم وجود برنامج سياسي واضح، ومنظمة شعبية واحدة، أو حزب سياسي، وكذلك انعزالها عن حركة التحرر الوطني العربية، «ممّا أدّى الى فقدان التنظيم والعمل السياسي داخل الارض المحتلة». وأضاف ديمشنكو، «ان القوى الرجعية استغلت أعمال خطف الطائرات، وضرب أهداف غير عسكرية، لتحجيم حركة المقاومة الفلسطينية بين العامين ١٩٧٠ و١٩٧١»، وأكد ان هناك تحالفاً غير مقدّس بين «الرجعيين العرب والامبرياليين والاسرائيليين» ضد الفلسطينيين لدفعهم الى التطرّف، ومن ثمّ محاصرتهم وضربهم. وحسب ديمشنكو، فان المشكلات التي تواجه حركة المقاومة الفلسطينية هي تقرير مكان، ودور، المقاومة في الجبهة العربية المشتركة بحسب علاقات القوى الواقعية، «الامر الذي يتضمّن التعاون مع الحكومات العربية التقدمية لازالة آثار العدوان الاسرائيلي، وايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط». وهذا، على وجه الخصوص، «يقتضي رفع شعارات، وتعيين مهام مرحلية، ويعني، استطراداً، تحديد المهام التكتيكية والاستراتيجية». ورأى كاتب المقالة، ان هذه المهمة تتطلب توحيد صفوف حركة المقاومة الفلسطينية في اطار جبهة وطنية، مثلاً، مع برنامج سياسي يأخذ بعين الاعتبار تعقّد الاوضاع وأشكال النضال، ليبدأ العمل في الارض المحتلة وبين اللاجئين، لأنه لا يمكن، في رأيه، ان تنمو الحركة من دون دعم الجماهير. ولاحظ ان هناك بداية لذلك في المجلس الوطني الفلسطيني، الذي عقد قبل شهور عدّة في القاهرة، والذي أكد اهمية التعاون مع «القوى الديمقراطية العربية». امّا الامر الهامّ الراهن، فهو الادراك ان حلاً عادلاً للقضية الفلسطينية يمكن انجازه فقط ضمن اطار النضال التحرري المشترك للشعوب العربية، وان الحلفاء الطبيعيين لحركة المقاومة الفلسطينية هم القوى التقدمية العربية والدولية، وفي مقدمها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى[١٠٠].

كل ما كانت تريده موسكو من حركة المقاومة الفلسطينية هو، اذاً، «تنظيم نفسها حول مهام جديدة؛ أي وحدة الحركة وتعاونها مع الحكومات التقدمية العربية». بيد ان موسكو حكمت بقسوة ظاهرة نسبياً على حادثة ميونيخ، خلال الالعاب الاولمبية، في منتصف أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢، حيث وصفتها صحيفة «برافدا» بالحادثة «المأساوية». لكنها لم تفعل ذلك على نحو بعيد من السلبية. فقد حمّلت «برافدا» الرجعية العربية، وعملاء اسرائيل على الصعيد الدولي، مسؤولية الاعمال المتطرفة لبعض المنظمات الفلسطينية، كفعل مضاد «للاعتداء المستمر على حقوقهم الوطنية بطردهم